جامعة
بنغازي الحديثة

مجلة جامعة بنغازي الحديثة للعلوم والدراسات الإنسانية

مجلة علمية الكترونية محكمة

Journal of Benghazi Modern University of Sciences and Humanities

العـــدد الثاني عشر

لسنة 2020

حقوق الطبع محفوظة

شروط كتابة البحث العلمي في مجلة جامعة بنغازي الحديثة للعلوم والدراسات الإنسانية

1- الملخص باللغة العربية وباللغة الانجليزية (150 كلمة).
2- المقدمة، وتشمل التالي:
- ❖ نبذة عن موضوع الدراسة (مدخل).
- ❖ مشكلة الدراسة.
- ❖ أهمية الدراسة.
- ❖ أهداف الدراسة.
- ❖ المنهج العلمي المتبع في الدراسة.

3- الخاتمة. (أهم نتائج البحث - التوصيات).
4- قائمة المصادر والمراجع.
5- عدد صفحات البحث لا تزيد عن (25) صفحة متضمنة الملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

القواعد العامة لقبول النشر

1. تقبل المجلة نشر البحوث باللغتين العربية والانجليزية؛ والتي تتوافر فيها الشروط الآتية:

- أن يكون البحث أصيلاً، وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها من حيث الإحاطة والاستقصاء والإضافة المعرفية (النتائج) والمنهجية والتوثيق وسلامة اللغة ودقة التعبير.
- ألا يكون البحث قد سبق نشرة أو قُدم للنشر في أي جهة أخرى أو مستل من رسالة أو اطروحة علمية.
- أن يكون البحث مراعياً لقواعد الضبط ودقة الرسوم والأشكال - إن وجدت - ومطبوعاً على ملف وورد، حجم الخط (14) وبخط (Arial 'Body') للغة العربية. وحجم الخط (12) بخط (Times New Roman) للغة الإنجليزية.
- أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة، وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية.
- أن يكون البحث ملتزما بدقة التوثيق حسب دليل جمعية علم النفس الأمريكية (APA) وتثبيت هوامش البحث في نفس الصفحة والمصادر والمراجع في نهاية البحث على النحو الآتي:
- أن تُثبت المراجع بذكر اسم المؤلف، ثم يوضع تاريخ نشرة بين حاصرتين، ويلي ذلك عنوان المصدر، متبوعاً باسم المحقق أو المترجم، ودار النشر، ومكان النشر، ورقم الجزء، ورقم الصفحة.
- عند استخدام الدوريات (المجلات، المؤتمرات العلمية، الندوات) بوصفها مراجع للبحث: يُذكر اسم صاحب المقالة كاملاً، ثم تاريخ النشر بين حاصرتين، ثم عنوان المقالة، ثم ذكر اسم المجلة، ثم رقم المجلد، ثم رقم العدد، ودار النشر، ومكان النشر، ورقم الصفحة.

2. يقدم الباحث ملخص باللغتين العربية والانجليزية في حدود (150 كلمة) بحيث يتضمن مشكلة الدراسة، والهدف الرئيسي للدراسة، ومنهجية الدراسة، ونتائج الدراسة. ووضع الكلمات الرئيسية في نهاية الملخص (خمس كلمات).

3. تحتفظ مجلة جامعة بنغازي الحديثة بحقها في أسلوب إخراج البحث النهائي عند النشر.

إجراءات النشر

ترسل جميع المواد عبر البريد الالكتروني الخاص بالمجلة جامعة بنغازي الحديثة وهو كالتالي:

- ✓ يرسل البحث الكترونياً (Word + Pdf) إلى عنوان المجلة info.jmbush@bmu.edu.ly او نسخة على CD بحيث يظهر في البحث اسم الباحث ولقبة العلمي، ومكان عملة، ومجاله.
- ✓ يرفق مع البحث نموذج تقديم ورقة بحثية للنشر (موجود على موقع المجلة) وكذلك ارفاق موجز للسيرة الذاتية للباحث إلكترونياً.
- ✓ لا يقبل استلام الورقة العلمية الا بشروط وفورمات مجلة جامعة بنغازي الحديثة.
- ✓ في حالة قبول البحث مبدئياً يتم عرضة على مُحكِّمين من ذوي الاختصاص في مجال البحث، ويتم اختيارهم بسرية تامة، ولا يُعرض عليهم اسم الباحث أو بياناته، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث، وقيمته العلمية، ومدى التزام الباحث بالمنهجية المتعارف عليها، ويطلب من المحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمها.
- ✓ يُخطر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال شهرين من تاريخ الاستلام للبحث، وبموعد النشر، ورقم العدد الذي سينشر فيه البحث.
- ✓ في حالة ورود ملاحظات من المحكِّمين، تُرسل تلك الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها، على أن تعاد للمجلة خلال مدة أقصاها عشرة أيام.
- ✓ الأبحاث التي لم تتم الموافقة على نشرها لا تعاد إلى الباحثين.
- ✓ الأفكار الواردة فيما ينشر من دراسات وبحوث وعروض تعبر عن أراء أصحابها.
- ✓ لا يجوز نشر إي من المواد المنشورة في المجلة مرة أخرى.
- ✓ يدفع الراغب في نشر بحثه مبلغ قدره (400 د.ل) دينار ليبي إذا كان الباحث من داخل ليبيا، و (200 $) دولار أمريكي إذا كان الباحث من خارج ليبيا. علماً بأن حسابنا القابل للتحويل هو: **(بنغازي – ليبيا - مصرف التجارة والتنمية، الفرع الرئيسي - بنغازي، رقم 001-225540-0011. الاسم (صلاح الأمين عبدالله محمد)**.
- ✓ جميع المواد المنشورة في المجلة تخضع لقانون حقوق الملكية الفكرية للمجلة.

info.jmbush@bmu.edu.ly

00218913262838

د. صلاح الأمين عبدالله
رئيس تحرير مجلة جامعة بنغازي الحديثة
Dr.salahshalufi@bmu.edu.ly

الـدور الحضـاري لجامـع قرطبـة

أ. ريم علي عبد الرازق

(عضو هيئة التدريس بدرجة محاضر - جامعة بنغازي - ليبيا)

الملخص:

يعد مسجد قرطبة الذي بناه المسلمون في القرن الثامن الميلادي من اكبر معالم الأندلس القديمة وتاريخ بناء مسجد قرطبة يعود إلى العهد الأندلسي، حيث تم تشيده على مدار قرنين ونصف في عهد عبدا لرحمن الداخل واستكمله عبد الرحمن الثالث حيث كان مصدر إشعاع ثقافي وحضاري آنذاك، وعندما سيطرت الكنسية الكاثوليكية على قرطبة في القرن الثالث عشر أقاموا كاتدرائية وسط المسجد، وعملوا تدريجيا على طمس المعالم الإسلامية للمبنى الأثري ليتحول إلى كاتدرائية وفي هذا البحث سيكون تسليط الضوء علي الدور الحضاري لجامع قرطبة كتحفة فريدة في المعمار الإسلامي ومنارة للعلم والعلماء ومن هنا كانت أهمية دراسة الموضوع بما يحمل بين طياته الكثير من التاريخ المشرق للحضارة الإسلامية.

Abstract.

The Cordoba mosque, which was built by the Muslims in the eighth century AD, is one of the largest ancient landmarks of Andalusia ,as it was built over the course of two and a half centuries ,during the reign of Abd Rahman Aldakil and was completed by Abd Rahman, as he was a source of cultural and civilizational radiation at that time ,and when the Cordoba in church took control of Cordoba in the thirteenth they established the cathedral in the middle of the mosque ,and they Islamic features of the Islamic features of the archaic will shed light on the civilizational role of the mosque of Córdoba ,as as unique masterpiece in Islamic architecture and beacom for science and scholars hence the importance of studying the subject which carries a lot of the bright history of Islamic.

ـ مقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فإن مما يعيد الأمل في استعادة الأمة مجدها، واسترداد كرامتها وحسن تفاؤلها، وهو نظرها في تاريخ المشرق، أو صفحتها الناصعة ويدها البيضاء، ذلك التاريخ المتمثل في تراثها وحضارتها.

وأن من أبرز معالم تاريخنا أتساع رقعة فتوحات الإسلامية المعمورة وأكبر شاهد على هذا الأتساع ما خلفه المسلمون في تلك البلاد من بصمات تاريخية، وأمجاد حضارية ومن أبرز ما خلفه المسلمون من تراث حضاري، ورصيد تاريخي، ذلك المسجد العريق شاهداً على حضارة المسلمين المعمارية والعلمية وغيرها في جوانب شتي من حياة الأمة، ولأهمية هذا المسجد في تاريخ الإسلام والمسلمين، فلا بد من إطلالة تاريخية حول هذا الصرح العظيم والمعلم الإسلامي المهم في تاريخنا.

وتألقت قرطبة في عصر الخلافة الأموية بالأندلس تألقا لم تشهده حاضرة إسلامية في العصور الوسطي باستثناء القاهرة وبغداد، وأصبحت بحق مهد الحضارة الرفيعة ومناظرة الفلاسفة والشعراء ومركز الفنون والعمران ومنارة العلوم، وشمس الحضارة وبلغت مبلغاً كبيراً من العمران في العصر الخلافة ، واتسعت رقعتها في التوسع والعمران.

ومدينة قرطبة لم تعد مدينة إسلامية منذ دخلت في ملك مملكة قشتالة في سنة 633هـ/ 1235م، ولكنها على الرغم من ذلك لم تفقد طابعها الخلافي الذي اتسمت به في عصرها الإسلامي، ومازالت قرطبة تحتفظ بتراث هائل من ماضيها الإسلامي المجيد الذي عجزت معاول الوصية الدينية وحوادث الأزمان أن تنزع جذوره العميقة من أرضها الطيبة ومن المعروف أن آثار الإسلام في قرطبة واضحة كل الوضوح في سائر مناحي حياتها، وهو أمر يتوق إليه الباحث إلي معرفته وتحصيله.

ـ أهداف اختيار الموضوع:

1. التعريف بأعظم مساجد الأندلس وأكثرها أناقة ويعد تحفة فريدة من حيث روعة زخارفه وفنون عمرانه.
2. تسليط الضوء على أجمل الآثار الإسلامية في إسبانيا جامع قرطبة قمة الفن المعماري وروعته.

ـ أهمية الموضوع:

واحد من أروع ما أنشأ المسلمون من الأعمال المعمارية ويوجد في قرطبة بالأندلس (إسبانيا) ويقع هذا المسجد بالقرب من الوادي الكبير، وتحيط به جوانبه الأربعة ضيقة، وذلك باعتراف مؤرخي العمارة الأوروبية قمة من قمم الفن المعماري العالمي على مر العصور، ودليل قاطع على براعة الأمويين والعرب في فن الهندسة والمعمار وتأتي أهمية الموضوع التعريف بالمعالم الإسلامية في العالم الإسلامي.

ـ منهجية الدراسة:

المتبع في الدراسة هو التاريخ السردي حتى تصل الدراسة إلى هدفها المنشود.

ـ خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة ومحورين المحور الأول تشمل أصل الكلمة قرطبة وتوضيح موقع المدنية وموقع الجامع قرطبة والأسماء التي أطلقت على مسجد قرطبة أما المحور الثاني فيكون عن المميزات الفنية للمسجد في الجامع قرطبة ودوره العلمي في أعداد الطبقات العلمية

بالأندلس وكذلك وصف السفراء والرحالة لجامع قرطبة وتاريخ الجامع بعد سقوط قرطبة في أيدي القشتاليين.

ـ أصل كلمة قرطبة:

أصل كلمة قرطبة ترجع إلى مصدرين أولهما عجمي روماني وثانيهما عربي، أما معني الكلمة في اللغة العربية فيقصد بها العدد الشديد أما بخصوص إرجاع الكلمة في دائرة المعارف الإسلامية أصلها أيبيري قديم مأخوذ من كلمة كوردوبا وهي بالفعل كما وجد المؤلفون العرب كلمة قديمة تشير إلى مدينة قديمة أزلية، وقد ورد ذكرها أثناء الصراع اليونان وقرطاجنة.

حيث أشترك أهالي قرطبة في حملة هانيبال على روما وأصبحت تابعة للإمبراطورية الرومانية 206ق.م.[1]

ـ موقع مدينة قرطبة:

تقع مدينة قرطبة على سهل مرتفع في سطح جبل قرطبة المعروف عند مؤرخي العرب بجبل العروس ويؤلف هذا الجبل أحدى سلاسل جبال سييرامورنيا، وكان يمتد شمالي قرطبة، ويغرس بالكروم والزيتون وسائر الأشجار وأنواع الأزهار، ويتراوح ارتفاع قرطبة ما بين 100 متر و123 متر فوق مستوي سطح البحر، أما جهة الجنوب فقرطبة موفيه على الضفة اليمنى من نهر الوادي الكبير الذي ينحني مجراه انحناءة طفيفة نحو الغرب مؤلفاً أهم طريق طبيعي في إسبانيا الجنوبية ومن الغريب أن هذا النهر الوحيد في الأندلس الذي سمي باسم عربي في عصر الولاة، وكان يسمي قبل الفتح بنهر بيطي، وينبع هذا النهر من جبل شقورة، ثم يتفرع إلى فرعين: أحدهما يسمى النهر الأبيض يتجه إلى مرسيه شرقاً، والفرع الآخر يمر باتجاه قرطبة وإشبيلية ويصب في المحيط الأطلسي، ومن روافده نهر شنيل الذي ينبع من جبال إلبيرة وعليه تقع مدينة إستجة، ونهر بليلنش الذي يصب في شنيل، والرافد الثاني نهر وداي شوش الذي ينبع من جبل باغة، والثالث الوادي الأحمر والرابع وداي بلون وروافد أخرى.[2]

ـ موقع جامع قرطبة:

يقع المسجد الجامع في قرطبة فوق بقعة صخرية تقع جنوبي غربي المدينة على مقربة من القنطرة العربية القديمة على نهر الوادي الكبير، وتحيط به الدروب الضيقة من جوانبه الأربعة.[3]

ويعد مسجد قرطبة من المساجد التي اشتهرت بنائها الجميل والتراثي والذي تمثل العهد الإسلامي في الأندلس، وتم بناء المسجد عام 169هـ/ 785م في عهد عبدالرحمن الداخل وأمر بجلب الأعمدة والرخام له من اربونة واشلبية والقسطنطينية بعد أن اشترى قسم الكنيسة من الروم وأمر بتحويلها وإعادة بنائها من جديد.[4]

وينقسم هذا الجامع الذي بناه عبدالرحمن الداخل شأنه في ذلك المساجد الأولي في الإسلام إلى قسمين: قسم مسقوف وهو بيت الصلاة ببلاطاته وأعمدته، وقسم مكشوف هو الفناء أو الصحن وكان بيت الصلاة في هذا المسجد يمثل على تسع بلاطات تتجه عمودياً على جدار القبلة ممتدة على أثنى عشر قوساً في كل بلاط، ومن الجدير بالذكر أن بلاطات جامع قرطبة مثلاً احتذته مساجد الأندلس الأخرى جميعاً، إذ أصبحت البلاطات العمودية على جدار القبلة من

---

[1] الحموي (د.ت) معجم البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، ص324.
كذلك عبد الجبار ناجي (2001م) سلسة تاريخ العرب والإسلام دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ص20.
[2] المقري (1994م) نفح الطيب، تح محمد محي الدين، القاهرة، ج2، ص6.
[3] السيد عبد العزيز سالم(1971م) قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ص316.
[4] الشريف ابوعبدالله محمد (1866م) نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج2، ص574.

أخص مميزات المساجد الأندلسية في العصور المختلفة ويتصف المسجد باحتوائه على عشرة من صفوف الأقواس وكل صف يحتوى أثني عشر قوس مركز على أعمدة رخامية رائعة المظهر، ويتواجد بالمسجد الصحن المسمى بباحة البرتقال أو فناء النازلج على الجهة الشمالية لأحد أبواب المسجد أما المظهر الخارجي للمسجد فيوحي على أنه قلعة كبيرة محاطة بالأسوار فهو سميك الجدران وملي بالأعمدة المصنوعة من المرمر والرخام وحجر المساقي، أما أرضية الحرم فزينت بالفضة.[5]

وكانت قواعد الأعمدة بعضها مدفوناً في أرضية المسجد، والبعض الآخر كان ظاهراً فوق مستوي سطحه، وأساس هذه الأعمدة منفصلة فيما بينها، وهي لذلك ضعيفة البناء، أما أسس الأعمدة الملاصقة للجدران فقوية صلبة وكانت أرضية بيت الصلاة من البلاط المصبوغ بالمغرة، وكانت تغطيها حصر، أما سقف المسجد فكانت أفقية، تتألف من لوحات خشبية مثبتة في الجوائز، وكانت تعلوها هياكل مسنمة منشورية الشكل تمتد على امتداد البلاط تاركاً فيما بينها قنوات مقعرة عميقة، نندمج في الجدران العلوية القائمة فوق الأقواس النباتية من الدعائم، والغرض منها حفظ المياه، وهذا يفسر عظم سمك هذه الجدران العليا.[6]

ـ الأسماء التي أطلقت على مسجد قرطبة عبر التاريخ:

1- جامع الخضرة، والذي يعنى جامع الخليفة وقد أطلق هذا الاسم على المسجد أول ما تم بناؤه.
2- جامع قرطبة.
3- مسجد الكاتدرائية وهو الاسم الحالي الذي أطلقه عليه الإسبان بعد تحويله كاتدرائية مسيحية.

ـ تطورات المسجد عبر التاريخ:

كان الأمير هشام 172هـ/ 788م قد أكمل المسجد الذي بناه أبوه عبدالرحمن الداخل 138هـ، فانشأ مئذنة المسجد القديمة التي كانت تقوم لصق السور الشمالي للمسجد من الخارج بجوار الباب الرئيسي الذي كان يتوسط هذه الواجهة الشمالية على مسافة تعد نحو 23.90 متراً من الجدار الشمالي الحالي للمسجد وكان يتوسط المئذنة من الداخل نواة مربعة الشكل يدور وبين جدرانها الخارجية درج لولبي على نحو ما نراه في برجي سان وخوان وسانشاجو بقرطبة.[7]

في عهد عبد الرحمن الأوسط 206هـ/ 822م عمد على زيادة المسجد مرتين في المرة الأولي أضاف بلاطين جانبين في سنة 218هـ استوسع بمها المسجد ثم أوصل هذين البلاطين في سقيفتين يحفان بصحن المسجد من الشرق والغرب، كل سقيفة منهما تقوم على 19 سارية ثم أوصل هاتين السقيفتين أو الجنبين من أبوابها القبلية بالسقائف التي كان قد أسسها الأمير هشام في جوف بيت الصلاة، ثم ربط السقيفتين عند طرفها الشماليين بسقيفة شمالية تقوم على 23 سارية أما الزيادة الثانية فقد تمت في سنة 234هـ وفيها مد بلاطات المسجد جنوباً في الفضاء الواقع ما بين القبلة القديمة وباب المدينة القبلي، وهي الزيادة المحدودة من عند الأرجل الضخام المائلة اليوم في وسط أبهاء المسجد إلى المحراب الإقدام الذي اتخذت فيه اليوم القبة الكبرى المخرمة.[8]

وجدران المسجد الخارجية من أنشاء عبد الرحمن الأوسط، وتميز بالركائز الضخمة التي اكتسبت الجامع مظهر القلاع ويعلو الجدران من أعلى شرفات مثلثة مسننة ومتدرجة، وتميز المسجد بزخارف من تيجان هذه الأعمدة الأربعة يصف أدنى من أوراق الاكنش التي تنحي من أعلاها، عددها ثمانية، تعلوها أربعة ركينة يتوسطها في وجه غصنان نباتيان متداخلان على شكل دائرتين متقاطعتين، ينتهيان من أعلى ورقتي الاكنش القائمين بطرفى التاج بلفيفتين، أما

[5] ابن الدلالي العذري (1965م) ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك على جميع الممالك، معهد الدراسات الإسلامية، ص123.
[6] محمد فكري (1961م) المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها، د.م، الإسكندرية، ص14.
[7] ابن القوطية (1958م) تاريخ افتتاح الأندلس، تح عبدالله أنيس، ص43.
[8] ابن عذارى المراكشي (1950م) البيان المغرب طبعه وعلق عليه ليفي بروفنسال، ص126-127.

الزوج الأخر فشمل على ثلاث طبقات متساوية: المنطقتات السفليتان تحشد في كل منهما ثمان ورقات من الاكنش بيت من أعلاها لفيفتان متقابلتان ركنيتان متدابرتان في كل وجه، ويتفرع منهما في الوسط لفيفتان متقابلتان، ولكنهما أصغر لفيفى الركنين ويزداد طنق التاج عند منصفة بزهرة كبيرة.[9]

عمد الناصر إلى استبدال مئذنة جديدة بالمئذنة القديمة في عام (340هـ/951م) فأمر بدوره بإنشاء صومعة أعظم من صومعة هشام، وذلك بحذاء الجدار الشمالي للجامع، بحيث لأتبرز هذه المرة نحو الخارج.[10]

ويبدو أن الناصر ربط بين طرفي السقيفتين الجانبتين للصحن بعد مدهما شمالاً بسقيفة جوفية بحيث أصبح الصحن محاطاً كله بسقائف أشبه بسقائف الأديرة على النحو الذي نراه اليوم بدليل ما ذكره ابن خلدون يذكر أن أمر "بعمل الظلة على صحن الجامع بقرطبة وقاية للناس من حر الشمس".[11]

والمقصود بزيادة الناصر في الجامع بناؤه الصومعة الكبرى بعد فراغه من توسيع الصحن ومد المجتبين الشرقية والغربية، وإقامة الظلة الشمالية التي أشار إليها ابن خلدون بالإضافة إلى تعديل بنيان المسجد وإقامة واجهة بيت الصلاة التي تصدعت بسبب الدفع الذي كانت تمارسه صفوف العقود والناصر الذي وسع الصحن وأقام المجنبات.[12]

وكانت زيادة الحكم المستنصر 350هـ/ 912م فأمر المستنصر بالله بتوسعه والزيادة واستغرقت أربع سنوات وتم بناء قبة المحراب في جمادى الآخر وسجل بناء القاعدة المشبكة لهذه القبة في نقش كتابي يغطى الطرة الكبرى التي تحيط بعقد المحراب وشرع في تذيل الفسيفساء بالمسجد الجامع فزين به وجه المحراب ووجه كل العقدين الذين يكتفانه شرقاً وغرباً، كما زينت به بطن القبة الوسطي التي تعلو المحراب ويذكر الإدريسي عند وصفه المحراب وواجهته أن قبلة المسجد مزينة بالفسيفساء المذهب الملون الذي بعثه صاحب القسطنطينية العظمى إلى عبدالرحمن الناصر لدين الله.[13]

وكذلك أقام فيها قبة المحراب وزين جدران المحراب بالفسيفساء تم عمل المشرع إلى الساباط المتصل بالمقصورة عن طريق العقد المجاور للمحراب من اليمين، والمخزن المتصل بالمقصورة عن طريق العقد الذي يلي عقد المحراب من اليسار، وكان هذا المخزن مخصصاً لحفظ أموال الأحباس.[14]

وهدم الحكم المستنصر بن الناصر (350-366هـ/961-976م) الميضأة القديمة التي كان قد أسسها هشام بن عبدا لرحمن الداخل في فناء الجامع، وبنى بدلاً منها أربع مبيضات على جانبي الصحن من جهته الشرقية والغربية، وأجرى إليها من عين ماء بحبل قرطبة في قناة حجرية متقنة البناء، وأودع جوفها أنابيب الرصاص لتحفظه من كل دنس، وصبت ماءها في أحواض من الرخام ثم أجرى ما يزيد على حاجة المسجد إلى ساقيات اتخذها على أبواب الجامع بجهاته الثلاث الشرقية والغربية والشمالية.[15]

واختتم الحكم أعمال البناء ببناء دار للصدقة غربي الجامع، لتكون معهداً لتوزيع صدقاته، كما أقام في ساحة الجامع مكاتب لتعليم أولاد الضعفاء والمساكين.

---

[9] المقري، نفح الطيب، ج2، 95.
[10] المقري، المصدر السابق، ج2، ص99 .
[11] ابن خلدون (1968م) العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، ج4، ص144.
[12] المقري، المصدر السابق، ج2، ص97-98.
[13] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص210.
[14] ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص93.
[15] ليفي بروفنسال (1958م) الإسلام في المغرب والأندلس ترجمة السيد عبدالعزيز سالم، القاهرة، ص22.

في عهد المنصور بن أبي عامر 366هـ/ 976م قد شرع بالفعل في زيادة الجامع في سنة 377هـ من الجهة الشرقية لتعذر الزيادة فيه من الجهة الغربية بسب قيام القصر الخلافي، المقابل للجامع، وتعذرها من الجهة القبلية لقرب جدار القبلة من الوادي، بالإضافة إلى أن الزيادة من هذه الجهة ستؤدي حتماً إلى هدم المحراب العظيم الذي أقامه الحكم بقبابه الثلاثة أما الجهة الشرقية فقد كانت عامرة بالدور المستغلات، وكان في مقدور أن ينزع ملكية هذه الدور من أصحابها ويعوضهم عنها بإنصافهم، فكان أول ما فعله أبن عامر تطيب نفوس أرباب الدور الذين انتزعت منهم لتهدم وتقوم على أرضها الزيادة الجديدة واستغرقت زيادة المنصور عامين ونصف، وكان المنصور يعمل فيها بنفسه، كما استخدم الأسرى المسيحيين في البناء وجعل من نواقيس النصارى التي غنمها من غزوته شنت ياقب سنة 187هـ ثريات في زيادته.[16]

كما اضطروا إلى هدم الميضأت الحكيمة الأربعة، وكانت تقع لصق هذا الجدار، ثم أضافوا إلى البلاطات الإحدى عشر القديمة ثمان بلاطات جديدة امتدت بطول بيت الصلاة حتى جدار القبلة فأصبح بيت الصلاة يضم بعد زيادة المنصور 19 بلاطاً وراعى المنصور في زيادته أن يسودها نوع من الانسجام والتناسق مع بناء المسجد كله، فواصل في زيادته إقامة صفوف من الدعائم الضخمة امتداد لصفوف الدعائم المختلفة في بيت الصلاة القديم من جدار القبلة وقد راعى المنصور في زيادته أن يسودها نوع من الانسجام والتناسق مع بناء المسجد كله، فواصل في زيادته إقامة صفوف من الدعائم الضخمة امتدادا لصفوف الدعائم المختلفة في بيت الصلاة القديم.[17]

وعلى الرغم من أن المنصور قلد في زيادته عقود زيادة الحكم المستنصر، إلا أن عقود تختلف عنها في أن سنجاتها كلها من الحجارة طلي بعضها باللون الأحمر حتى يوهم الناظر أنها سنجات من الجر الحمر، ويحافظ بذلك على الإيقاع اللوني، كذلك قلد زيادة الحكم في استخدام الكوابيل المزدوجة التي تكون من ست لفائف زخرفيه.[18]

ـ المميزات الفنية للمسجد الجامع في قرطبة:

وأما حيث المميزات الفنية للمسجد الجامع فأن الجزء الذي أمر ببنائه عبد الرحمن الداخل (169هـ/785م) واستكمله ابنه، الذي قام بتوسعته وأضاف مئذنة له خلال عام961هـ يتم على إرادة التجديد، فلم تكن الأروقة متصلة فيما بينها وموازية لجدار القبلة، كما في المساجد الأخرى، وإنما كانت عمودية التوزيع على ذلك الجدار، كما في الكنائس القديمة، وقد وزعت الأقواس المركبة (حذوه حصان يعلوها نصف دائرة) على أعمدة من الطراز القوطي والروماني وتيجان من طرز متغايرة أيضاً.

فتلاقي التقليدات الشرقي والغربي وتمثلت روح للإسلام في ذلك التوازن المدهش النصفي على المسجد ثقافية خاصة وأعطاه حيزاً لا مناهياً.

وتختص عمارة المسجد الجامع في قرطبة بالتناظر والتناسق وهو عنصر مهم في العمارة الإسلامية، وبغياب أي عنصر مركزي يشد النظر، أضافه إلى الأقواس المركبة وتناوب اللونين الأحمر والأصفر في الحجارة مما يجعل البناء نموذجاً فريداً في تاريخ العمارة.[19]

أما سقف المسجد وجدرانه فقد نقشت عليها آيات من القرآن الكريم وزينت بزخارف مؤطرة، أو بلوحات جداريه وزخرفيه من الفسيفساء أو من الزجاج المطلي بالميناء، ومنها ما رصع بالفضة والذهب، وكان المسجد يضاء بثريا تحمل سبعة ألاف قنديل من الزيت المعطر.[20]

---

[16] السيد عبد العزيز سالم (1958م) المساجد والقصور بالأندلس، سلسلة اقرأ، ع91، ص6.
[17] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص428.
[18] ستانلي بول (1944م) العرب في إسبانيا ترجمة علي الجارم، مطبعة مصر، القاهرة، ص48.
[19] الحميري (1937م) الروض المعطار في خبر الأقطار تح ليفي بروفنسال، ص50.
[20] محمود عبد العزيز موزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، د. م، بيروت، ص33.

أما المحراب فهو تجويف سباعي الأضلاع مطلي بالذهب ومزين بالفسيفساء من المينا المزجج ومزخرف من الرخام ونقوش من الذهب على أرضية زرقاء قرمزية ويعلو المحراب رباط من الأعمدة الرشيقة والعقود المزينة، أما المنبر فيعد أجمل منبر في العالم لأنه يتألف من 3700 قطعة من العاج ومن الأخشاب المعطرة النادرة مثل خشب الأبنوس وعود الند والصندل وكلها مطعمة بالجواهر، أما المسامير التي تثبت فهي من الفضة والذهب.[21]

- دور المسجد قرطبة في أعداد الطبقات العلمية بالأندلس:

لم يكن جامع مسجدا للصلاة فحسب بل كان إلى جانب هذا مركزا للعلم ومقرا للسلطة ودارا للعدل كان الجامع تدرس فيه حلقات العلوم والآداب على اختلاف فنونها.

وكانت فيه حلقة لدراسة الحديث النبوي الشريف كان ممن ترأسها بوبكر بن معاوية القرشي، وحلقة يدرس فيها الأدب وكان ممن ترأسها ضيف الأندلس أبو علي القالي صاحب كتاب الامالي، وحلقة النحو والصرف، كان ممن ترأسها ابن القوطية، يعد جامع قرطبة في عهد الحكم الثاني من أعظم جامعات الأرض، تقرا فيه العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والكيميائية والجغرافية والمنطق والتاريخ. وقد بلغ عدد الفقهاء والطلاب في الحلقات العلمية أيام الأمويين بقرطبة نحو أربعة آلاف وانشأ الخليفة الأموي الحكم وحده سبعا وعشرين مدرسة بساحة المسجد الجامع قرطبة.

كانت قرطبة تمثل مركز الحكم الإسلامي في الأندلس حيث اتخذها الولاة والأمراء والخلفاء قاعدة لهم حيث تطورت وانتعشت بمرور الزمن حتى أصبحت تنافس كلا من دمشق والقاهرة وغيرها من الولايات المتحدة.[22]

كما وصفها الجغرافي الأندلسي الإدريسي بعبارات جميلة المعاني وعميقة المفاهيم حيث قال: (مدينة قرطبة قاعدة بلاد الأندلس وأهم مدنها ودار الخلافة الإسلامية وفضائل أهل قرطبة من أن نذكر مناقبها أظهر من أن تستروا إليهم في الشتاء والبهاء بل هم أعيان العباد وذكروا بصحة المذهب وطيب المكسب وحسن الزى في الملابس والمراكب وعلو الهمة في المجالس والمراتب وجميل التخصيص في المطاعم والمشارب مع الجميل الخلائق وحميد الطرائق ولم تخل قرطبة قط من أعلام العلماء وسادة الفضلاء وتجارها ما سير لهم أموال كثيرة وأحوال واسعة ولهم مراكب سنية وهم عالية).[23]

أصبحت قرطبة عند اتخاذها قاعدة الأندلس موطناً للعلماء ومركزاً والمجالس العلمية والأدبية واختصت بالثقافة وبناء المجامع العلمية والمدارس والجامعات حتى ذكر العالم الأندلسي ابن رشد القرطبي: (إذ مات عالم بأشبيليه فأريد بيع كتبه إلى قرطبة حتى تباع فيها).[24]

أصبحت قرطبة بحركة تأليف أمهات الكتب والمصادر في مختلف العلوم والفنون بفضل العلماء والأدباء الذين اتخذوها مقراً لهم كما أسهمت حركة التأليف والاستنساخ لأمهات الكتب النادرة ويبدو أن هناك مدارس الخط الكوفي وغيره اختصت بها بعض الأحيان والدور القرطبية في ازدهار الحركة العلمية كما حكى لنا أن المؤرخ ابن فياض في تاريخه في أخبار قرطبة حيث قال: بالربض الشرقي مائة وسبعون أمراه يكتبن المصاحف بالخط الكوفي وازدهرت قرطبة حضاريا بفضل أاهتمام الأمراء والخلفاء الأمويين في تطويرها وأعمارها.[25]

---

[21] المرجع السابق، 37.
[22] ابن غالب الأندلسي (1956م) فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس تح لطفي عبد البديع، مطبعة مصر، القاهرة، ص25.
[23] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص547.
[24] ابن حادث بن أسد القيرواني (1911م) قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، ص35.
[25] عبدالرحمن المراكشي (1949م) المعجب تح محمد سعيد، د.م، القاهرة، ص520.

أسهم المسجد الجامع في قرطبة جذب للعلماء والفقهاء ودرس فيه أعداد من مشاهير العلماء وتتلمذ فيه نخبة من العلماء وأصبح أكبر جوامع مساجد الأندلس وأضخمها وأفضلها وصارت له مكانة دينية ودنيوية حيث تقام فيه صلاة الجمعة وصلاة الاستسقاء والاحتفال بلية القدر وليلة المولد النبوي فضلاً عن اتخاذه مركزاً علمياً.[26]

وتحدث عنه الجغرافي الأندلسي الحميري بقوله: (فيها الجامع المشهور وله مساحات واسعة يحمل إلفا مصباحاً).[27]

- وصف السفراء والرحالة للمسجد الجامع قرطبة:

وقد وصفه العمري بقوله: (إنه مسجد عظيم ليس في مساجد المسلمين مثله بنيه وتنميقا وطولاً وعرضاً .. تروق العيون وتستميل النفوس بإتقان ترسيمها ومختلفات ألوانها وتقسيمها أن لكل عمود رأس رخام وقاعدة وقد عقد بين العمود والعمود أعلى الرأس قسر غريبة عليها قسر آخر اعلي عمد من الحجر المنحوت منقنة. العمري (1924م)[28]

وزار المسجد الجامع عدد من الرحالة والسفراء الموفدين من حاكم المغرب بعد انتهاء الحكم الإسلامي من الأندلس للتفاوض وتحرير الأسرى والمسلمين وتوطيد العلاقات بين المغرب وإسبانيا ومن هؤلاء السفراء أحمد بن المهدي الغزال الذي زار المسجد ووصفه بأنه أعظم مساجد الدنيا في الطول والعرض والعلو الفادح حتى أن الأقواس المنعقدة على سوارية العديدة فوقها أقواس أخرى تعلو سمكه ومنذ خبرنا هذا المسجد لم تقتر لنا غيره مما شاهدنا من عظمته وتذكرنا ما كان عليه على عهد الإسلام.[29]

تم وصف المسجد الجامع بقرطبة من السفير المكناس بقوله: (من أعظم مساجد الدنيا واسع الفناء وضخم البناء دلت مبانيه على بانيه رحمهم الله).[30]

والقاضي سعيد بن سليمان الغافقى: (فلما قدم قرطبة ولادة أمير رحمه الله فجلس الحكم في المسجد وعليه جبة صوف بيضاء افروق أبيض وكذلك القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشيد (متوفي: 520هـ) من الفقهاء والفلاسفة تولى قضاة الجماعة بقرطبة ووظيفة صاحب الصلاة بالجامع نقل عنه النبأ هي كان فقيهاً عالماً، حافظاً للفقه مقدماً فيه على جميع أهل عصره عارفاً للتقوى على مذهب مالك وأصحابه بصيراً بأقوالهم وأتفاقهم واختلافهم ناجحاً في علم الفرائض والأحوال من أهل الرياسة في العلم والبراعة والفهم مع الدين والفضل والوقار والحكم والسمن والحسن.[31]

أصبحت مدينة قرطبة ومركزها العلمي المسجد الجامع تنازع وتنافس بغداد حول الزعامة الفكرية في العالم الإسلامي بفضل علمائها أمثال ابن حزم القرطبي وابن رشد القرطبي وغيرهم في كثير في مجالات العلوم الصرفة والإنسانية فقد كان جامع قرطبة مشهوراً للدراسة العالية، بمستوي العواصم كالقاهرة وبغداد إذ كان مركز العلمي في العصور الوسطي ففي هذا الجامع كان الألوف من الطلبة ينقلون العلوم الإسلامية الأساسية مثل التفسير والفقه والحديث إلى جانب الأمثال العربية والشعر الجاهلي، كما يكشف حكاية عابرة يرويها العالم ابن حزم القرطبي ولقد وأصل علماء قرطبة جهود علماء بيت الحكمة معهد الترجمة السياسي.

---

[26] المقري، المصدر السابق، ج2، ص8.
[27] الحميري ، المصدر السابق ، ص153.
[28] مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، احمد زكي، ص 212.
[29] ابن غالب الأندلسي، المصدر السابق، ص30.
[30] احمد المهدي حمد (1980م) نتيجة الاجتهاد في المهادلة والجهاد ورحلة إلى الغزال وسفارته - تحقيق إسماعيل العربي، بيروت، ص96.
[31] ابو القاسم التجيبي السبتي (1975م) مستفاد الرحلة الاغتراب تح عبد الحفيظ منصور، الدار العربية، تونس، ص431.

وبرزت في قرطبة إسهامات كبرى في التاريخ والجغرافيا وعلوم اللغة العربية وآدابها مثل عبدربه القرطبي صاحب العقد الفريد كما أنجبت قرطبة أكبر جراح وهو أبو القاسم الزهراوي القرطبي وغيرهم.[32]

- تاريخ الجامع بعد سقوط قرطبة في أيدي القشتاليين:

ظل جامع قرطبة يحتفظ بصورته الكاملة التي سجلتها زيادة المنصور حاجب الخلافة (371-392هـ/981-1002م) حتى نهاية عصر الخلافة، فلما قامت الفتنة التي أطاحت بالخلافة الأموية وتعرضت قرطبة لانتقام البربر، أنتهب بيت مال المسجد الذي كان قائماً في الصحن، كما اقتلعت الأبواب الذهبية بمقصورة المسجد في سنة 400هـ.[33]

فاضطر بنو جهور (422-462هـ/1031م/1069م) إلى نقل الأموال إلى مخزن الجامع، كذلك تعرض الجامع من جديد الأعمال النهب أبان الفتنة الثانية التي حدثت في سنة 540هـ عندما نهب أوصال المنبر وثريات الجامع الفضية، كما جردت الصومعة من ثقافيتها الذهبية والفضية.[34]

وفي عصر الموحدين (1130-1269م) كان الجامع ما يزال يحتفظ بمكانته، وكان جامع في عصر الموحدين مركزاً للاحتفالات الدينية ولاسيما الاحتفال بلية القدر وكان المسلمون يقصدونه في تلك الليلة الكريمة.[35]

ثم تحول الجامع الأعظم إلى كنسية بعد استيلاء القشتاليين على قرطبة في سنة 1236م، على يدي الأسقف دي أوسما كنسية سانتا ماريا العظمى واتخذ فيه الملك فرناندو الثالث لمصلي المعروف بسان كليمني في الجزء الجنوبي من زيادة المنصور لصق جدار المحراب وفي سنة 1258م حول الأسقف دون فرناندو دي دي لامبيا في عهد الملك الفونسو العاشر العالم القبة المخرمة الكبرى التي تقوم على مدخل البلاط الأوسط من زيادة الحكم المستنصر إلى مصلى كبير.[36]

وأخيرا أعلن المسجد الجامع بقرطبة أثرا قومياً في سنة 1882م، فقام دون إيكاردو فلا سكت بوسكو مدير مدرسة العمارة بمدريد الإشراف عليه، وأصلح مصلى فيلافيتوسيا كما أصلح سقف الجامع الخشبية وأرضية القديمة، وواصل المهندس بوسكو أعمال الترميم، فأعاد وضع الأسقف الخشبية في البلاط الأوسط بجامع قرطبة، كما أصلح الأبواب الخارجية في زيادة المنصور، وثم الفراغ من جميع أعمال الترميم في سنة 1919م.[37]

- الخاتمة:

مما سبق يتضح أن جامع قرطبة من أروع ما خلفته الدولة الأموية من آثار بل هو يمثل مرحلة من مراحل النضج المعماري والفني للطراز العربي الإسلامي وذلك من حيث التخطيط وأساليب البناء وظهور عدة عناصر معمارية وزخرفية.

كان بعضها إلى الغرب الإسلامي من الشرق مع الجيوش الفاتحة، وكان جامع قرطبة من الوجهة الفنية من أروع أمثلة العمارة الإسلامية والمسيحية على السواء في العصر الوسيط ومن الوجهة العلمية أكبر مقر علمي تدرس فيها العلوم الدينية واللغوية ويعد إليه الطلاب العرب والعجم للدرس والتحصيل العلمي.

---

[32] روبرت هلباند (1998) زينة الدنيا قرطبة القروسطية مركزا ثقافيا عالميا، مركز دراسات الوحدة العربية، ج1، ص195- 196.
[33] الأندلسي، المصدر السابق، ص30.
[34] الأندلسي، المصدر السابق، ص31.
[35] المقري، المصدر السابق، ص31.
[36] الأندلسي، المصدر السابق، ص39.
[37] أبو القاسم، نتجيي الاجتهاد، ص18.

وكان المسجد المتمثل في العظمة والاتساع وفي كثرة الزخارف والجمال وقد أعطوه مؤرخو العرب في المغرب والأندلس حقه في الوصف واختصوه بعنايتهم وعظموه وأجلوه وكتبوا في تاريخه ووصفه فصولاً.

ومن أهم النتائج التي وصلت اليها:

1- يعد جامع قرطبة إحدى روائع العالم المعمارية وصرحاً حضارياً وثقافياً منقطع النظير؛ يحظى بمكانة خاصة في تاريخ الفن الإسلامي.
2- يعتبر جامع قرطبة واحدا من ابرز المعالم السياحية في إسبانيا وهو يعد تحفة معمارية فريدة خلال الحقبة الأندلسية.
3- إن المسجد قرطبة قد مر بالعديد من الإصلاحات والتعديلات طوال فترات التاريخ الإسلامي.
4- كان المسجد يتسع لنحو أربعين ألف مصل إضافة إلى انه مقر للطلبة ونخبة المفكرين يشدون إليه من جميع أرجاء المغرب الإسلامي ومكان للمناظرات العلمية.
5- كان المسجد يضم فئات الدينية مختلفة وهذا يدل على التسامح الديني إلى جانب دوره العلمي المهم في التاريخ الإسلامي.

أن قرطبة اهتمت بحركة التأليف الكتب والمصادر في مختلف العلوم والفنون بفضل العلماء والأدباء الذين اتخذوها مقرا لهم كما أسهمت حركة التأليف والاستنساخ لأمهات الكتب النادرة وبذلك أسهمت قرطبة في ازدهار الحركة العلمية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد. ت 808هـ/ 1405م:

- العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، 1988م.

ابن القوطية، أبوبكر محمد:

- تاريخ افتتاح الأندلس حققه عبدالله أنيس، بيروت، 1958م.

الحميري، أبوعبدالله محمد بن عبدالله. ت 866هـ/ 1461م:

- الروض المعطار في خير الأقطار ن القاهرة، نشره ليفي بروفنسال، 1937م .

الإدريسي، الشريف أبوعبدالله محمد. ت 548هـ/ 1954م:

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدن، نشره دي غويه، 1966م.

العذري، ابن الدلالي:

- ترصيع الأخبار وتنويع الأثار والبنان في غرائب البلدان والمسالك على جميع الممالك، مدريد، 1995م.

القيرواني، حارت بن أسد:

- قضاة قرطبة، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والنشر، 1991م.

العمري، ابن فضل شهاب الدين:

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار حققه أحمد زكي، 1924م.

المقري، شهاب الدين. ت 1041هـ/ 1631م:

- نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب تحقيق محمد محي الدين، القاهرة، 1949م.

المراكشي، عبدالواحد بن علي. ت 669هـ/ 1270م:

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، القاهرة، 1949م.

المراكشي، ابن عذاري أبو العباس:

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، علق عليه ليفي بروفنسال، 1950م.

الأندلسي، أبن غالب محمد بن أيوب:

- فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، نشره لطفي عبدالبديع، القاهرة، مطبعة مصر، 1965م.

ياقوت الحموي، شهاب أبوعبدالله. ت 626هـ/ 1228م:

- بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت.

ثانياً: **المراجع**:

بروفنسال، ليفي:

- الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة عبدالعزيز سالم، القاهرة، 1958م.

بول، ستايلي لين:

- العرب في إسبانيا، ترجمة علي الجارم، مطبعة مصر، 1944م.

عبدالجبار، ناجي:

- سلسلة تاريخ العرب والإسلام في تاريخ المدن العربية الإسلامية، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2001م.

عبدالعزيز، محمود مرزوق:

- الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، د. ت.

فكري،

- المدخل إلى المساجد القاهرة ومدارسها الإسكندرية، 1961م.

السيد، عبدالعزيز سالم:

- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، بيروت، دار النهضة العربية، 1971م.
- المساجد والقصور بالأندلس، سلسلة اقرأ، 1958م.

التجني، أبو القاسم يوسف:

- مسفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبدالحفيظ ليبيا، 1975م.

المهدي، احمد:

- نتجية الاجتهاد في المهادلة والجهاد ورحلة إلى الغزال وسفارته، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت، 1980م.

هيلداند، روبرت:

- زينة الدنيا قرطبة والقروسطية، بيروت، مركزاً ثقافياً عالمياً، 1948م.